

98

قصص الأنبياء

محمد

(صلى الله عليه وسلم) (42)

الخلافة الأولى

يقال: ر. ا. عبد الحميد عبد القادر
رسوم: ا. عبد الصافي سيد
إشراف: ا. حمدي محمدي





انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرُوحِهِ الطَّاهِرَةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى
جِوَارِ رَبِّهِ .. إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، فِي أَعْلَى عَلَيَيْن ..
إِلَى النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ .. إِلَى دَارِ الْخُلْدِ وَالْبَقَاءِ ..

وَوَقَعَ خَبَرُ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى رُءُوسِ بَعْضِ
الْمُسْلِمِينَ وَقُوعِ الصَّاعِقَةِ ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ
الرَّسُولُ ﷺ قَدْ مَاتَ .. فَقَالَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ)
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ أَذْهَلَتْهُ الصَّدْمَةُ :

- إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَدْ تَوَفَّى .. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا مَاتَ ، وَلَكِنَّهُ
ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ،

فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ رَجَعَ
إِلَيْهِمْ .. وَاللَّهُ لِيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا رَجَعَ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وَأَمْسَكَ (عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيْفَهُ مَهْدَدًا :
- مَنْ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ قَتَلْتَهُ بِسَيْفِي
هَذَا ..

وَسَمِعَ (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَبَرَ وَفَاةِ
الرَّسُولِ ﷺ ، فَجَاءَ مِنْ بَيْتِهِ مُسْرِعًا ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ،
فَرَأَى (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالنَّاسَ حَوْلَهُ ، وَقَدْ
أَصَابَتْهُمْ الصَّدْمَةُ بِالذُّهُولِ ، فَلَمْ يَنْطِقْ كَلِمَةً وَتَوَجَّهَ
إِلَى بَيْتِ ابْنَتِهِ (عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَدَخَلَ ، فَرَأَى رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَرْقُدُ وَقَدْ غُطِّيَ وَجْهُهُ ، فَكَشَفَ الْغِطَاءَ عَنْ
وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَبَّلَهُ فِي حَنَوٍّ ، ثُمَّ قَالَ :

- يَا أَبَتِي أَنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمَا الْمَوْتَةُ
الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ ذُقْتُهَا ،

وَلَنْ تُصِيبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدًا .. ثُمَّ أَعَادَ
الْغَطَاءَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فِي
الْمَسْجِدِ ، وَرَأَاهُمْ عَلَى ذُحُولِهِمْ وَحُزْنِهِمْ وَ (عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَفَ بَيْنَهُمْ يَذْكُرُ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ ، فَقَالَ (أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
- عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ .. أَنْصَتُ ..

فَرَفُضَ (عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَنْصَتَ ، وَاسْتَمَرَ يُكَلِّمُ
النَّاسَ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ ، فَاتَّجَهَ
(أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّاسِ ، قَائِلًا :

- أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ، فَإِنْ مُحَمَّدًا
قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ
لَا يَمُوتُ .. ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ سُورَةِ
(آلِ عِمْرَانَ) :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ،
أَفَتُؤْتُونَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ،

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ،
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

(الآية ١٤٤ من سورة آل عمران)

فَلَمَّا انْتَهَى (أَبُو بَكْرٍ) ﷺ مِنْ تِلَاوَةِ الْآيَةِ ثَابَ النَّاسُ
إِلَى رُشْدِهِمْ ، وَعَلِمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، وَكَانَهُمْ
لَمْ يَسْمَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ قَبْلُ .. وَثَابَ (عُمَرُ) ﷺ إِلَى
رُشْدِهِ ، فَأَخَذَ يَبْكِي وَالْمُسْلِمُونَ يَبْكُونَ مَعَهُ فِرَاقَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..



ولما تأكد الناس أن رسول الله ﷺ قد انتقل
إلى جوار ربه انقسموا إلى فرقتين .. تجمع الأنصار
حول الصحابي الجليل (سعد بن عباد) رضي الله عنه في
مكان يسمى ثقيفة (بنى ساعدة) وانتخبوه ليكون
خليفة للمسلمين بعد الرسول ﷺ .. والتف
المهاجرون حول (أبي بكر) و (عمر) رضي الله عنهما في
المسجد .. وجاء رجل فأخبر (أبا بكر) و (عمر)
باجتماع الأنصار حول (سعد بن عباد) رضي الله عنه
واختيارهم له خليفة للمسلمين .. ثم قال :

- إن يهتمكم أمر هذه الأمة واجتماع كلمتها ،
فادركوا الأنصار ، قبل أن يتفاقم الأمر ، ويدب
الخلاف بين المسلمين ، وتحدث الفتنة ..

فأسرع (أبو بكر) و (عمر) رضي الله عنهما والمسلمون
إلى سقيفة (بنى ساعدة) ومعهم المهاجرون

وَكِبَارُ الصَّحَابَةِ ، وَأَغْلَقُوا الْبَابَ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ وَزَوْجَاتِهِ .. وَكَانَ (عُمَرُ) رَضِيَ
وَكِبَارُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى
اخْتِيَارِ (أَبِي بَكْرٍ) رَضِيَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، لِمَا لَهُ
مِنْ فَضْلِ السَّبْقِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَمُرَافَقَةِ الرَّسُولِ ﷺ
وَمُؤَازَرَتِهِ لَهُ لِيَوْمِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ ..

فَلَمَّا وَصَلَ (أَبُو بَكْرٍ) وَ (عُمَرُ) رَضِيَ إِلَى
السَّقِيفَةِ وَمَعَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَرَأَوْا الْأَنْصَارَ قَدْ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى اخْتِيَارِ (سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ) رَضِيَ
خَلِيفَةً ، أَرَادَ (عُمَرُ) رَضِيَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِيَقُولَ لَهُمْ
إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى اخْتِيَارِ
(أَبِي بَكْرٍ) ، فَقَالَ لَهُ (أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ :

- اُنْتَظِرْ يَا عُمَرُ ..

وَتَحَدَّثَ (أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ ، فَقَالَ لِلْأَنْصَارِ

كَلَامًا حَسَنًا ، وَمَدَحَهُمْ بِمَا هُمْ أَهْلٌ لَهُ ، ثُمَّ
أَمَسَكَ بِيَدِ كُلِّ مَنْ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) وَ (أَبِي
عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ) رضي الله عنه ، وَقَالَ :

— إِنَّ الْعَرَبَ لَنْ تَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ فِي غَيْرِ
قُرَيْشٍ ، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، فَاخْتَارُوا
أَحَدَهُمَا وَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ ..

فَقَالَ الْأَنْصَارُ :

— مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ..
وَكَثُرَ الْجِدَالُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، وَخَافَ (عُمَرُ) رضي الله عنه أَنْ يَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ :

— ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ..

فَبَسَطَ (أَبُو بَكْرٍ) رضي الله عنه يَدَهُ ، فَبَايَعَهُ (عُمَرُ) رضي الله عنه
بِالْخِلَافَةِ ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ ،

وَحَسَمَ (عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَ بِسُرْعَةٍ ، وَأَصْبَحَ
(أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ جَلَسَ الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ (أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَنَظَرَ (أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
وُجُوهِ الْحَاضِرِينَ وَلَمْ يَرِ بَيْنَهُمْ كَلَامًا



(عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) وَ (الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ) رضي الله عنهما
وَكَانَ كُلُّ مَنَّهُمَا لَمْ يَبَايَعَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدُ ، فَأُرْسِلَ
إِلَيْهِمَا أَنْ يَحْضُرَا ، فَلَمَّا حَضَرَ (الزُّبَيْرُ) رضي الله عنه قَالَ
لَهُ (أَبُو بَكْرٍ) رضي الله عنه مَعَاتِبًا :

— يَا بَنَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَوَارِيَهُ ، هَلْ أَرَدْتَ أَنْ
تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ؟

فَقَالَ (الزُّبَيْرُ) رضي الله عنه :

— لَا تَثْرِيْبُ (أَيُّ لَا لَوْمَ) يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..

وَمَدُّ يَدِهِ قَبَايِعَ (أَبَا بَكْرٍ) بِالْخِلَافَةِ ..

وَلَمَّا جَاءَ (عَلِيٌّ) رضي الله عنه ، قَالَ لَهُ (أَبُو بَكْرٍ) رضي الله عنه :

— يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ ، هَلْ أَرَدْتَ

أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ؟

فَقَالَ (عَلِيٌّ) رضي الله عنه :

— لَا تَثْرِيْبُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،

والله أنت أحق الناس بالحلافة ، فأنت
صاحب رسول الله ﷺ في العار ، ونحن نعرف
شرفك وصحتك لرسول الله ﷺ ، ولقد أمرنا أن
نصلي بالناس وهو حي ..

ومد (علي) ﷺ يده فبايع (أنا بكر) بالحلافة .
وبعض (أبو بكر) ﷺ فحمد الله وأتى عليه بما
هو أهل له ، وصلى على رسوله ﷺ ، ثم قال .

— أما بعد .. أيها الناس ، فإني قد ولّيت عليكم
ولست بحيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن
أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب حياة ..
الضعيف فيكم قوياً عدي حتى أحد الحق له ،
والقوى فيكم ضعيف عدي حتى أحد الحق منه
إن شاء الله .. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله ، إلا
ضربهم الله بالدّل ، ولا يتبع الفاحشة

فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَنْهُمْ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ .. أَطِيعُوا
مَا أَطَعَتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،
فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ..

وَلَمَّا أَنْتَهَى النَّاسُ مِنْ بَيْعَةِ (أَبِي بَكْرٍ) بِالْخِلَافَةِ
وَأَسْتَقَرَّ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ ، نَزَعُوا لَدْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ بَيْتِهِ لِيَعْسَلُوهُ وَيَكْصُوهُ وَيَجْهَرُوهُ
لِلدَّفْنِ .. وَكَانَ مِنْهُمْ (عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) وَعَمُّهُ
(الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) وَ (الْفَضْلُ) وَ (قُتَيْبُ)
أَيُّهَا (الْعَبَّاسُ) ﷺ ، وَقَدْ عَسَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فِي قَمِيصِهِ الَّذِي تَرَفَى فِيهِ ، فَسَدَهُ (عَلِيٌّ) ﷺ إِلَى
صَدْرِهِ وَأَحْدَوْا يَصُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَاحِدٌ (عَلِيٌّ) ﷺ ،
يَقُولُ :

— يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَطِيبَكَ حَيًّا
وَمَيِّتًا ..

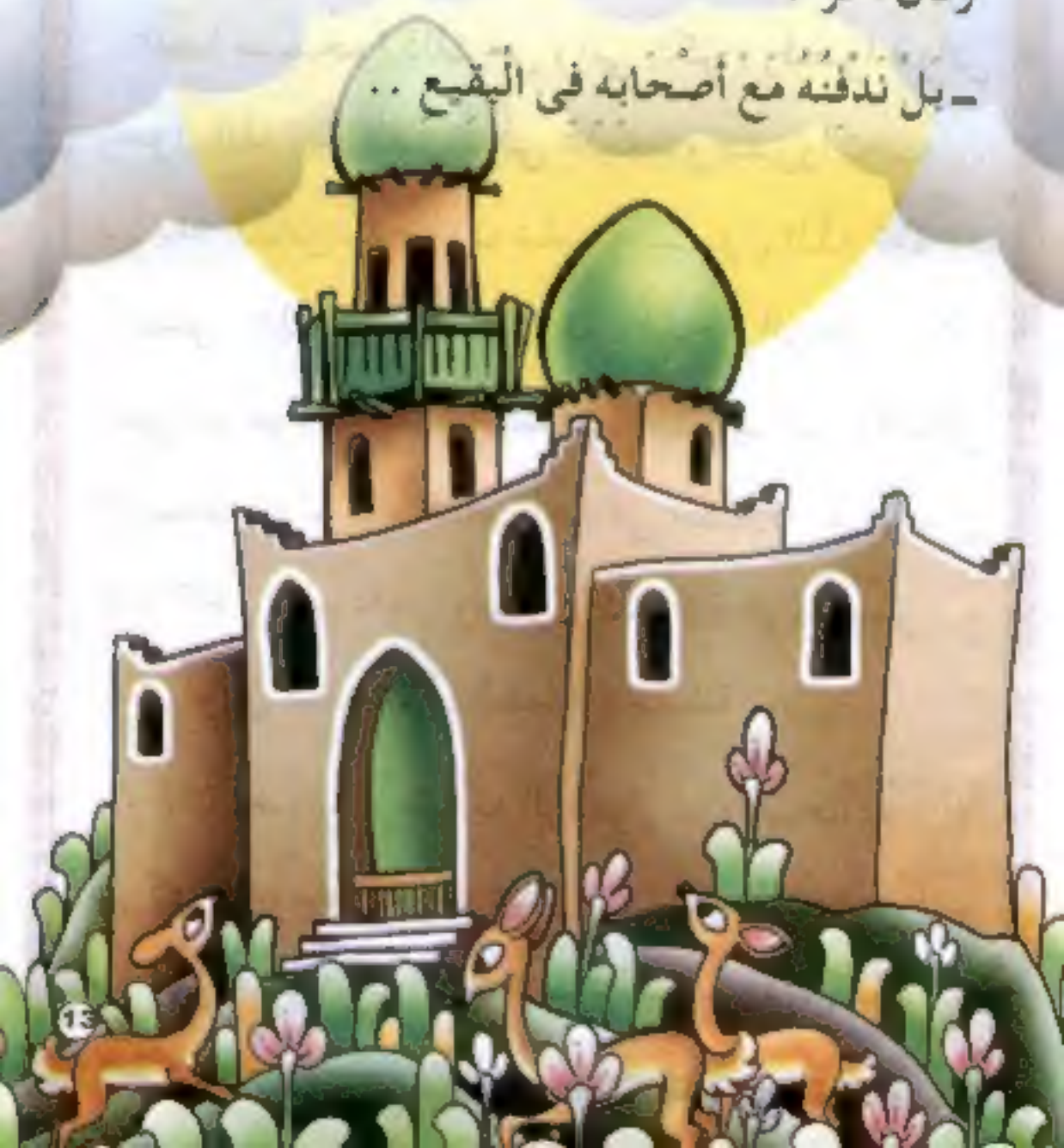
وَلَمَّا نَزَعُوا مِنْ عَسَلِهِ ﷺ ، كَفَّوهُ فِي ثَلَاثَةِ أَتْرَابٍ ،

وَوَضَعُوهُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ الَّذِي تُرَفَّىٰ عَلَيْهِ ، وَاخْتَلَفُوا عَلَى
الْمَكَانِ الَّذِي يَدْفَنُونَهُ فِيهِ ، فَقَالَ قَائِلٌ :

— نَدْفِنُهُ فِي مَسْجِدِهِ ..

وَقَالَ آخَرُ :

— بَلْ نَدْفِنُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْبَقِيعِ ..



فَقَالَ (أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ :

- « مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يَقْبُضُ » ..

فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ (أَبِي بَكْرٍ) رَفَعُوا فِرَاشَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي تَوَفَّى عَلَيْهِ ، وَحَفَرُوا تَحْتَهُ ..
ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ جَمَاعَةً جَمَاعَةً ، فَدَخَلَ الرِّجَالُ أَوَّلًا ،
حَتَّى فَرَّغُوا فَدَخَلَتِ النِّسَاءُ ، حَتَّى فَرَّغْنَ ، فَدَخَلَ
الصِّبْيَانُ ، وَلَمْ يَزُمْ النَّاسُ أَحَدٌ فِي الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ .. ثُمَّ دَفَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَوْضِعِ
الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ بِمَنْزِلِ السَّيِّدَةِ (عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ..

وَكَانَ آخِرُ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّسُولُ ﷺ صَحَابَتَهُ ، أَلَّا
يَتْرَكُوا بَعْزِيَّةَ الْعَرَبِ دِينِينَ .. وَفِي ذَلِكَ حِصْلُ لَهُمْ
عَلَى مُوَاصَلَةِ الْجِهَادِ لِنُشْرِ دِينِ اللَّهِ

فِي كُلِّ مَكَانٍ بِالْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَخَارِجِهَا ..

وَلَمَّا انْتَقَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، ارْتَدَّ
الْكَثِيرُ مِنَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَتَرَقَّبَ
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مَا يَحْدُثُ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَفَاةِ
نَبِيِّهِمْ ﷺ ، وَهُمْ أَهْلُ (مَكَّةَ) بِالرُّجُوعِ عَنِ الْإِسْلَامِ
وَالْامْتِنَاعِ عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ،
فَتَصَدَّى لَهُمُ الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَجَرَّدَ الْجِيُوشَ لِمُحَارَبَتِهِمْ ، وَقَالَ :

— وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالُ بَعِيرٍ كَانُوا يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتَهُمْ عَلَيْهِ ..

كَمَا جَرَّدَ (أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجِيُوشَ لِقِتَالِ مُسَيْلَمَةَ
الْكَذَّابِ وَكُلِّ مَنْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ بَعْدَ وَفَاةِ
الرَّسُولِ ﷺ ..

وَأَرْسَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجِيُوشَ لِفَتْحِ الشَّامِ وَبِلَادِ فَارِسَ

وقهر الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية
الفارسية ، ونشر الإسلام في ربوعهما ، وفي كل
مكان من أرض الله ..

فصلاة الله وسلامه على أشرف الخلق محمد
رسول رب العالمين ، وعلى آله وصحابه أجمعين
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. آمين ..
(تمت بحمد الله وتوفيقه)

رقم الإيداع : ٤٠٤٧٣٨١

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٣٧٨ - ٤٧

المطبعة العربية الحديثة

١٠٠ شارع ٢٧ منطقة الصناعية بالعاصمة

الطرابلس - ٩٨٢٣٧٩٩ - ٩٨٢٣٨٥٥